

الملكة اللغوية وكيفية حدوثها

The linguistic queen and and how it occurs

أ.د صبار نور الدين – Sabbar Noureddine

جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس (الجزائر)

sabbar_noureddine@yahoo.fr

يدو فوزية - Fouzia Yadou

جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس (الجزائر)

fouziayadou@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2026/05/22

تاريخ الاستلام: 2026/02/16

ملخص:

يتناول المقال مفهوم الملكة اللغوية عند العرب القدامى والمحدثين، مبيِّناً أنها قدرة وصناعة تمكّن المتكلم من التعبير عن المعاني بفعالية. فقد رأى ابن خلدون أن اللغة ملكة تُكتسب بالسماع والتكرار حتى تصبح صفة راسخة، مع التمييز بين الملكة الأساسية للتبليغ والملكة البيانية للترزين. وأكد ابن جني أهمية السماع والقياس في تكوينها. أما المحدثون، فتباينت آراؤهم بين البنيوية التي تركز على المحاكاة، والتوليدية التي ترى اللغة قدرة إبداعية قائمة على قواعد ذهنية فطرية كما عند تشومسكي. كما عرض المقال وسائل اكتساب الملكة اللغوية، مثل الممارسة والحوار، والحفظ والقياس، وتعلم الألفاظ في سياقاتها، إضافة إلى دور الدوافع والحاجة والوسائل السمعية البصرية. ويخلص إلى أن تعلم اللغة عملية زمنية تراكمية تقوم على التدريب والتفاعل المستمر.

الكلمات المفتاحية: الملكة اللغوية؛ السماع والقياس؛ الاكتساب اللغوي؛ النظرية التوليدية.

Abstract:

The article examines the concept of **linguistic competence** in the views of early Arab scholars and modern linguists. Ibn Khaldun described it as a skill acquired through listening and repetition until it becomes a stable habit, distinguishing between basic and rhetorical competence. Ibn Jinni emphasized the roles of hearing and analogy in language acquisition. Modern theories differ between structuralism, which focuses on imitation, and generative theory, which sees language as a creative, rule-based mental ability. The article also highlights key factors in acquiring language, such as practice, memorization, context-based learning, and motivation. It concludes that language learning is a gradual and cumulative process.

Keywords: Linguistic Competence; Hearing and Analogy; Language Acquisition; Generative Theory.

1. مقدمة:

تُعَدُّ الملكية اللغوية من أهم القضايا التي استأثرت باهتمام الدارسين قديماً وحديثاً، لما تمثله من أساس في فهم طبيعة اللغة ووظيفتها، وكيفية اكتساب الإنسان لها وقدرته على توظيفها في التعبير والتواصل والإبداع. فاللغة ليست مجرد ألفاظ مفردة أو تراكيب معزولة، بل هي قدرة راسخة في النفس تمكّن المتكلم من إنتاج كلام سليم ومؤثر وفق مقتضى الحال. ومن هنا انشغل العلماء العرب الأقدمون بدراسة هذه الملكية، فبحثوا في حقيقتها، وحدودها، ووسائل تحصيلها، وأبرزوا دور السماع، والحفظ، والقياس، والممارسة المستمرة في تكوينها وترسيخها، كما نجد ذلك عند ابن خلدون وابن جني وغيرهما.

ومع تطور الدراسات اللغوية في العصر الحديث، تجدد النظر في مفهوم الملكية اللغوية ضمن أطر نظرية مختلفة؛ فظهرت اتجاهات ركزت على المحاكاة والعادة، وأخرى أكدت البعد الإبداعي الفطري للغة، معتبرة إياها نظاماً ذهنياً قائماً على قواعد عامة تمكّن الإنسان من إنتاج عدد لا متناهٍ من الجمل. وهكذا تلقت جهود القدماء والمحدثين في محاولة تفسير هذه القدرة الإنسانية الفريدة، وإن اختلفت مناهجهم ومصطلحاتهم. ويسعى هذا المقال إلى إبراز مفهوم الملكية اللغوية عند الفريقين، وبيان سبل اكتسابها، وأهم العوامل المؤثرة في تكوينها، مع الوقوف عند نقاط الاتفاق والاختلاف بينهم.

كما تتجلى أهمية دراسة الملكية اللغوية في بعدها التربوي والتعليمي، إذ إن فهم طبيعتها وآليات تكوينها يسهم في بناء مناهج أكثر فاعلية في تعليم اللغات وتنمية مهارات التعبير. فالوعي بدور السماع والممارسة والحوار، وبأهمية السياق والدافعية، يوجّه العملية التعليمية نحو التركيز على الاستعمال الحي للغة بدل الاختصار على القواعد النظرية المجردة. ومن ثمّ فإن البحث في الملكية اللغوية لا يقتصر على الجانب النظري فحسب، بل يمتدّ ليؤثر في واقع تعليم اللغة وتعلمها، ويكشف عن كونها عملية تراكمية تتطلب زمناً وتدرجاً وتفاعلاً مستمراً بين المتعلم وبيئته اللغوية.

2. عند القدماء العرب:

لقد نبغ العلماء العرب القدامى في علوم اللغة والكلام نبوغهم في علوم الفلك والرياضيات والطب وغيرها من العلوم الأولى، وقد عالجوا أموراً هامة فيها، وناقشوها، فتباينت فيها آراؤهم، وتشعبت اتجاهاتهم، وكثرت بذلك مؤلفاتهم، ولعل من بين أهم مواضيع اللغة تناولا، موضوع الملكية اللغوية.

إنه، وعند غوصنا في عمق تراثنا العربي القديم، نجد علماءنا الأقدمين قد أبدوا آراءهم في هذا الموضوع الملكية اللغوية فقدموا له تعاريف متكاملة، فنجد هذا يقدم شيئاً، والآخر يكمله، وذلك يقدم تعريفاً جامعاً مانعاً، ولعل أبرز هؤلاء العلامة ابن خلدون.

يرى ابن خلدون أن الملكية اللغوية صناعة، وقدرة على تبليغ الأغراض، والمقاصد، فهي عنده لا تتم إلا من خلال التركيب الذي قسمه بدوره إلى نوعين اثنين:

تركيب أساسي، وسماء ملكة أساسية غرضه الأول والأخير تبليغ المعنى، وتركيب بلاغي وسماء ملكة بيانية غرضها تزيين الكلام وتنميته، فتراه بين ذلك في قوله: «... اعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها، وقصورها بحسب تمام الملكية، ونقصاتها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما النظر إلى التراكيب، فإذا وصلت الملكية التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع، وهذا هو معنى البلاغة...»¹.

فهذا التعريف لابن خلدون عرف الملكية اللغوية أو اللغة كصناعة، دون أن ينظر أو يتطرق إلى ماهية هذه اللغة بالذات.

يمكن فهم الملكية اللغوية عند ابن خلدون على أنها قدرة شاملة تشمل كلاً من التمكن من المفردات والتراكيب، والقدرة على توظيفها بطريقة تلائم السياق والموقف، بحيث تُحقق الهدف الأساسي من الكلام وهو إيصال المعنى بوضوح. فالمملكة ليست مجرد حفظ كلمات أو تراكيب، بل هي فن إدارة اللغة بطريقة متقنة تخدم التواصل الفعال بين المتكلم والمستمع.

إلى جانب ذلك، يوضح الفصل بين الملكية الأساسية والبيانية أن إتقان اللغة يتطلب مزيجاً من الجانبين: فالمملكة الأساسية تُركز على وضوح المعنى ودقته، أما الملكية البيانية فتتجهم بالأسلوب والجمال اللغوي، فتضفي على الكلام رقة وعذوبة، وتُكسب المتكلم القدرة على التعبير عن أفكاره بطريقة جذابة ومؤثرة، بما يجعل اللغة أداة تواصل وإبداع في الوقت ذاته.

كما نجد ابن جني الذي أعطى تعريفاً مهماً للملكة اللغوية، وذلك من خلال تعريفه للنحو باعتباره أحد مستويات اللغة فقال: «...النحو هو انتحاء سمت كلام العرب...»²، فالنحو عنده اتباع طريقة العرب في الكلام.

ويتم ذلك عن طريق سماع الكلام -كلام العرب- من جهة، والقياس، والبناء عليه من جهة أخرى فاللغة عنده -ابن جني- ليست قياساً فقط بل يضاف إليها السماع، فنجدته يقول: «... ومعاذ الله ان نوحى أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً...»³، فالسماع، والقياس عنده هما ركيزتا الملكية اللغوية فيقول: «...ألا ترى أنك لا تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل، ولا مفعول، وإنما سمعت البعض، وقست عليه غيره، فأنا سمعت قام زيد اجزت ظرف بشر، وكرم خالد...»⁴.

ويؤكد ابن جني أن السماع يشكل الأساس الأولي للغة، إذ لا يمكن للمتعلم أن يكون ملكة لغوية إلا من خلال تعرضه المباشر للألفاظ والنطق بها في سياقاتها الطبيعية. فالسماع ليس مجرد تسجيل للمفردات، بل هو فرصة لفهم البناء اللغوي، والتمييز بين المعاني المختلفة، ومعرفة الاستعمال الصحيح لكل كلمة. وهكذا يصبح السماع أداة للتعرف على النمط اللغوي، وفهم العلاقات بين الأسماء والأفعال والصفات، كما يتيح إدراك التنوع اللغوي بين المتحدثين، مما يجعل ملكة اللغة غنية ومرنة.

أما القياس، فيأتي بعد السماع ليكمل فهم الإنسان للغة، فهو العملية الذهنية التي يقوم بها المتعلم لتعويض ما لم يسمعه مباشرة، واستنتاج القواعد العامة من الأمثلة المسموعة. فابن جني يرى أن الإنسان يقيس على ما سمعه ليكون قاعدة شاملة تمكنه من إنتاج واستخدام اللغة في مواقف جديدة. ومن هنا يتضح أن الملكية اللغوية عند ابن جني ليست مجرد حفظ للمسموع، بل هي نتاج التفاعل بين الخبرة السمعية والقدرة العقلية على القياس والاستنتاج، مما يجعل اللغة عنده ظاهرة حية، تقوم على الدمج بين التجربة والملاحظة العقلية.

وقد وسع ابن خلدون مفهوم هذه الملكية، ووضحها تمام الوضوح من خلال تركيزه على الجمل والتراكيب في اللغة، فاللغة لا تدرك بسماع هذه الجمل والتراكيب فقط، وإنما بتكرارها مرات عديدة حتى تصبح صفة وملكة راسخة، ثم يبنى عليها فتبدع جمل وتراكيب عديدة من خادل هذا السماع المتكرر، فالمتكلم العربي، حين تكون فيه ملكة اللغة العربية، يلتقط الكلام من حوله، ويسمع أساليب أهل جيله في مخاطباتهم، وطريقة تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي المفردات أولاً فيتعلمها، ثم التراكيب فيتعلمها كذلك. ويستمر سماعه لهذا الكلام من كل متكلم وفي كل لحظة، ويكرر استخدامه حتى تصبح هذه اللغة ملكة راسخة وصفة ثابتة لديه⁵.

ولقد اعتبر العرب القدامى الملكية اللغوية صناعة من الصنائع كصناعة النسيج، والبناء، والورش الصباغية⁶، إلا أن ابن خلدون توصل إلى مفهوم المنوال بالنسبة للنسيج والقالب بالنسبة للبناء، ويعتبرهما قاعدة أو نموذجاً كاملاً ينطلق منه مؤلف الكلام في إنشاء الكلام، كما ينطلق النسيج من المنوال لينسج، والبناء من القالب

ليبي. وفي هذا الصدد ذكر أن مؤلف الكلام يشبه البناء أو النسيج، بينما الصورة الذهنية المنطبقة على كلامه تشبه القالب الذي يُبنى فيه أو المنوال الذي يُنسج عليه.⁷

وقد سار في هذا المعنى المحدثون من العرب والغرب فنجد:

3. الملكة اللغوية عند المحدثين:

عبد السلام المسدي يعتبر الملكة اللغوية قياساً، وابتكاراً انطلاقاً من السماع والحفظ⁸، أما الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح يرى أن الملكة اللغوية تمثل الأساس أو الإطار الذي يعتمد عليه المتحدث لتكوين جمل جديدة لم يسمعها سابقاً⁹.

وقد سادت في الأوساط الغربية نظريتان لغويتان حول تفسير الملكة اللغوية انطلاقاً من كيفية اكتسابها هما: النظرية البنوية أو الوظيفية^(*) التي اكتفت بالوصف أو الشكل دون التعمق والخوض في المضمون الحقيقي معتبرة الإنسان مجرد آلة مقلدة، والنظرية التوليدية التفرعية^(*)، التي تجاوزت الشكل والوصف إلى المضمون الداخلي الإبداعي في اللغة.

ينظر أصحاب النظرية البنوية للملكة اللغوية على أنها عادة من العادات تكتسب بالمحاكاة والتقليد وبدرجة أقل بالقياس¹⁰، كما يُعدّ سلوكاً اجتماعياً يُكتسب تدريجياً من خلال الممارسة، وذلك عبر التدريبات الشفوية والتمارين الكتابية المكثفة.¹¹

وقد انصبت هذه النظرية على جانب واحد يتمثل في المحاكاة والتقليد، وأغفلت البعد الإبداعي الخلاق في اللغة، كما تجاهلت القدرة التي وهبها الله للإنسان على إنتاج كلام غير متناهٍ انطلاقاً من عدد محدود من النماذج.¹²

بينما ينظر أصحاب النظرية التوليدية إلى اللغة على أنها خلاقة بإبداع الكلام تبعا لنظام قاعدي معين حيث أن اكتساب اللغة عندهم لا يرتبط بحفظ وسماع الجمل والتراكيب بل يركز على إبداع وإنشاء تراكيب وصل جديدة غير محدودة في حين أن التراكيب والجمل المسموعة محدودة¹³.

كما أضاف تشومسكي إلى جانب هذا عامل الملكة (Performance)، والتأدية (compétence) فالملكة عنده هي عبارة عن مجموعة من القواعد اللغوية العامة الراسخة في ذهن الإنسان، والتي تمكنه من اكتساب أي لغة على وجه الأرض، أما التأدية فهي الاستعمال الفعلي للغة في ظروف معينة ملموسة.

والملاحظ أن مفهوم المحدثين للملكة اللغوية، والعرب القدامى يلتقي في كثير من النقاط خاصة المدرسة التوليدية التفريعية التي ركزت على الابداع الذي تجاهلته المدرسة الوظيفية المعتمدة على الشكل والمحاكاة.

4. كيفية حصول ملكة اللغة:

لقد تطرق العلماء العرب القدامى إلى كيفية وطرق الاكتساب اللغوي أي كيفية حصول الملكة اللغوية، وقد حددوا أموراً عدة من شأنها أن تؤثر تأثيراً كبيراً في حصول هذه الملكة نذكر منها:

1.4 الممارسة والتدريب المستمرين:

يعتبر ابن خلدون أن السمع هو أصل الملكات اللسانية، ومن خلاله تكتمل ملكة اللغة، حيث يوضح: إن الصبي يسمع أولاً استخدام المفردات ومعانيها فيلتقطها، ثم يسمع التراكيب فيتعلمها أيضاً، ويستمر سماعه لذلك في كل لحظة ومن جميع المتكلمين، ويكرر استخدامه لها حتى تصبح ملكة راسخة وصفة ثابتة لديه¹⁴.

ويؤكد العلماء العرب القدامى هذا، ويركزون خاصة على أهمية التدريب والممارسة في حصول الملكة اللغوية، يرى ابن المقفع أن رقة وعدوبة الكلام تتأثر بمدى استخدام الإنسان للسان، فكلما كثر تحريك اللسان و«تقليبه» أصبح الكلام أكثر رقة، بينما تقل العدوبة إذا قل استعماله¹⁵، وأما الجاحظ يرى أن إتقان اللغة والبلاغة يتحقق بالممارسة المستمرة للنطق بها، فكلما كثر الإنسان تحريك اللسان وتدريب نفسه على النطق، ازداد البيان والفصاحة، بينما يقل الإتقان إذا قلّ التحريك وطالت فترة السكوت¹⁶.

ولعلّ من أهمّ وأيسر الوسائل لاكتساب الملكة اللغوية الحوار والجدال؛ إذ يرى ابن خلدون أن يسرّ طرق هذه الملكة فتقّ اللسان بالمحاورة والمناظرة، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مراميها¹⁷. فالحوار يكتسب المتكلم ألفاظاً ومصطلحات جديدة، أما المناظرة فتعود اللسان على استعمال اللغة والتصرف فيها بمهارة.

وتلعب القراءة والاطلاع المنتظم دوراً أساسياً في صقل الملكة اللغوية، إذ يتعرض المتعلم من خلالها لمفردات وتراكيب جديدة وأساليب تعبير مختلفة لم يسمعها في الكلام اليومي، مما يوسع مدارك اللسان ويزيد مرونته، ويهيئه لتكوين جمل مبتكرة سليمة لغوياً.

كما تعزز الكتابة المستمرة والتعبير عن الأفكار خطياً القدرة على التحكم في اللغة، فهي تجبر المتعلم على اختيار الكلمات وتركيب الجمل بعناية، ومع مراجعة ما كتبه، يتمكن من تطوير أسلوبه وتصحيح الأخطاء، فتزداد ملكته اللغوية ويصبح قادراً على التعبير الشفهي والكتابي بمهارة وسلاسة.

2.4 الحفظ والقياس:

تتميز عملية اكتساب اللغة بعاملين أساسيين: أولهما: الحفظ لكلام الناطقين كل حسب حاجته - من شعر، ونثر، وغير ذلك، وقد أكد ابن خلدون صراحة على هذا من خادل بيانه كيفية حصول ملكة اللسان العربي وطريق التعلم لمن يسعى إلى اكتساب هذه الملكة ويطمح إلى تحصيلها أن يلزم نفسه بحفظ كلام العرب القدامى، والسير على أساليبهم، وذلك من خلال القرآن الكريم، والحديث النبوي، وأقوال السلف.¹⁸

وثانيهما: الاستعمال الفردي للكلام بعد حفظه، ويتم ذلك عن طريق التعبير عما في نفس المتكلم بأساليب الناطقين كل حسب حاجاته.

ففي المرحلة الأولى -مرحلة الحفظ- يحفظ المتكلم الجمل مع معانيها، أما في المرحلة الثانية مرحلة الاستعمال الفردي - فإنه يبتكر الجمل بعانيها، ويكون له أسلوب خاص أي يدخل في مرحلة الإبداع والإنشاء من خلال القياس والبناء على هذا الحفظ، ويذكر ابن خلدون في هذا السياق أنه بعد مرحلة الحفظ، ينتقل المتعلم إلى التصرف في التعبير عما يجول في خاطره، مستعيناً بعباراتهم، وناسجاً كلامه على منوال تأليفهم، ومسترشداً بما استوعبه من أساليبهم وتنظيم ألفاظهم.¹⁹ وفي هذا الصدد يقول «إميل شارتيه»: «... كي نتعلم لغة معينة نحفظ أولاً ثم بعد ذلك نتصرف ونبدع...»²⁰.

تعتبر الممارسة المستمرة بعد مرحلة الحفظ من أهم العوامل التي تثبت الملكة اللغوية، إذ يعتاد المتعلم على استعمال الكلمات والتراكيب في مواقف مختلفة، فيصبح استخدامه للغة تلقائياً وطليقاً. فالتكرار والممارسة الحية يرسخان ما تم حفظه ويحولان المعرفة النظرية إلى قدرة فعلية على التعبير.

كما يساهم الحوار والمناقشة مع الآخرين في صقل مهارة التعبير والإبداع اللغوي، إذ يواجه المتعلم خلالها تحديات متنوعة في نقل أفكاره وفهم مقاصد الآخرين، مما يعود على التفكير السريع واختيار الأساليب المناسبة للتعبير، فيكتسب بذلك المرونة والقدرة على الابتكار ضمن الإطار اللغوي الذي تعلمه.

3.4 تعلم الألفاظ والمعاني:

بيّن العلماء العرب القدماء أن في اللغة ألفاظاً ومعاني عامة ينبغي للجميع تعلّمها، وأخرى خاصة بأهل الاختصاص لا يلزم بها كل الناس. وفي هذا السياق يذكر الزجاجي أن العرب ليسوا سواءً في الإحاطة باللغة؛ فليس كلهم يعرف غريبها وواضحها، ومستعملها وشاذها، بل هم طبقات يتفاضلون في ذلك. أمّا الألفاظ الواضحة الشائعة، البعيدة عن الشذوذ والندرة، فهم فيها على قدر واحد.²¹

كما نجد ابن فارس يوضح أن طالب العلم يكتفي أحياناً بالاسم الشائع للكلمة دون الحاجة لمعرفة جميع مرادفاتها أو أشكالها، فالإكتفاء بالمعرفة الأساسية لا يضر بفهم اللغة أو استخدامها²².

ومن هذا نتبين أنه لا توجد طريقة تعلم كل ألفاظ اللغة كما أنه لا يوجد شخص في هذه الدنيا يتكلم لغة المنشأ بإتقان، ويعرفها بكل تفاصيلها، إذ يجب أن تعلم المعاني على أساس الطريقة الكلية أي من خلال الجملة، والسياق لا من خلال المفردة.

فابن فارس ينبه إلى أن الغاية من تعلم اللغة ليست استقصاء جميع مفرداتها ولا الإحاطة بكل ما فيها من غريب وأوجه اشتقاق، وإنما المقصود تحصيل القدر الذي تتحقق به الفائدة في الفهم والتعبير. فطالب العلم حين يعرف الاسم الأشهر والأشيع للكلمة، ويتمكن من استعماله في موضعه الصحيح، يكون قد حصل المقصود العملي من اللغة، إذ إن التواصل لا يتوقف على استحضار جميع المترادفات أو الإلمام بكل الفروق الدقيقة بينها. وهذا يدل على نظرته الواقعية إلى اللغة بوصفها أداة استعمال وتواصل، لا مجرد مادة للحفظ والاستقصاء النظري. ومن هنا يتضح أن تعلم اللغة يقوم على إدراك المعنى في سياقه الكلي، لأن الكلمة لا تؤدي دلالتها الحقيقية منفردة، بل تتحدد قيمتها من خلال موقعها في الجملة وعلاقتها بما يحيط بها من ألفاظ ومعاني. فالفهم السياقي ييسر على المتعلم إدراك المعاني دون حاجة إلى معرفة كل لفظ على حدة، كما يجعله أقدر على الاستعمال السليم. ولذلك فإن الكفاية اللغوية الحقيقية لا تعني الإحاطة الشاملة بكل مفردات اللغة، وإنما تعني القدرة على فهم الخطاب في سياقه، واستعمال اللغة استعمالاً مناسباً يحقق الغرض من التواصل.

ويؤكد هذا القول الزمخشري في مقدمة كتابه: «أساس البلاغة إذ يقول: ... يسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بدرا، ومتناظمة لا طرائق قددا...»²³.

إن تكرار الكلمة في سياقات متعددة يلعب دوراً مهماً في حدوث عمليتي الفهم والتعلم وهذا بإدراك المتعلم بنفسه المعاني المختلفة للفظ الواحد.

يُشير الفارابي إلى أن تعلم المعاني يمكن أن يتم أيضاً عبر الإشارة إلى الأشياء نفسها، حيث يقول إن الأمور التي تُستخدم في التعلم تتعلق بالحالات التي يجب أن تتوافر لدى المتعلم بالنسبة للشيء الذي يريد تعلمه. ومن هذه الطرق ما يتعلق باستخدام الألفاظ الدالة على الشيء، أو عرض الشيء أمام العين مباشرة²⁴، والفائدة من كل هذا هي تسهيل الفهم، وتصوير الأشياء، وحفظها، ويؤكد الزمخشري هذه الفكرة في قوله: «فإن قلت ما معنى تعليمه أسماء المسميات؟، قلت أراه الأجناس التي خلقها الله، وعلمه أن هذا اسمه فرس، وهو اسمه كذا، وهذا

اسمه كذا...»²⁵ فتعلم معنى الكلمة يجب أن يقرن مع الشيء الذي تدل عليه فهو أرسخ في الذهن من تعلم المعنى دون إدراك ماهيته أو الشيء الذي يدل عليه.

كما أن الممارسة العملية للكلمات في مواقف حياتية مختلفة تُعزز فهم المعاني وتُرسخها في الذهن، إذ يكتسب المتعلم القدرة على توظيف الكلمة المناسبة في الوقت والمكان المناسبين، ويصبح قادرًا على التمييز بين الاستخدامات المختلفة لنفس اللفظ حسب السياق.

إضافة إلى ذلك، يساهم التكرار والمراجعة المستمرة في تثبيت المعاني المختلفة للكلمة، فكلما واجه المتعلم اللفظ في نصوص متعددة أو في محادثات متنوعة، ازداد إدراكه للمعاني الدقيقة والمرادفات، وتكون لديه قدرة أفضل على التعبير السليم والإبداع في اللغة.

4.4 الدوافع والخواف:

تُعدّ الحاجة من أبرز العوامل المعينة على تعلّم اللغة؛ إذ يتحدد مستوى اكتسابها بقدر شدة هذه الحاجة أو ضعفها. وقد أشار إلى ذلك الجاحظ إذ يرى من أقوى الدوافع إلى تعلّم اللغة شدة الافتقار إليها، فبمقدار الضرورة في المعاملة يكون التمكن منها أو القصور فيها.

وضرب على ذلك مثالا واقعيا من عصره، وهو أن الرجل الذي يبيع الرقيق عندما يتعامل مع الزوج فإنه يتعلم لغتهم، ويتحدث بلسانهم لأن حاجته معهم كثيرة، وهي البيع، فهو مضطر على ذلك حتى يتفاهم معهم، في حين أن نفس الرجل إذا تعامل مع الخوز، ولازمهم مدة طويلة فإنه لا يأخذ عنهم شيئا لانعدام حاجته فيه، فيقول: «يتنخس في بيع الزنج وابتداعهم شهرا واحدا، فيتكلم بعامة كلامهم، ويباع الخوز ويحاورهم زمانا فلا يتعلم منهم بطائل»²⁶.

إذن فالكلام أو اللغة تتعلم في سهولة، وسير حيث يتعلم الكلام بالكلام حين الحاجة إلى الكلام حين يكون هناك ما يتحدث به أو عنه.

تلعب الوسائل السمعية والبصرية دورًا مهمًا في اكتساب اللغة، إذ يرى ابن سينا أن تعلم اللغة يزداد فاعلية عندما ترتبط العبارة بالإشارة إلى الشيء أو إظهاره، حيث إن اقتران الإشارة بالكلمة يجعل المعنى يتجسّد في النفس بوضوح، مما يساهم في تثبيت المعلومة بأفضل صورة ممكنة.²⁷

كل ذلك يشير إلى أن اللغة قضية زمنية بطبيعتها؛ فتعلم أي فئة من الفئات الناطقة يتطلب وقتًا محددًا يُمنح للمتعلم ليتدرج في إدراك المعاني واكتساب الأساليب. ولا يقتصر الأمر على مجرد مرور الوقت، بل يحتاج أيضًا إلى تعليم موجه بعناية، يحدد فيه المعلم الخطوات المناسبة وفق قدرات المتعلمين. بالإضافة إلى ذلك، فإن التعلم

يحتاج إلى خطة مدروسة ومحكمة، تأخذ في الاعتبار مستويات الفهم المختلفة، وتوفّر تدريبات متدرجة تعزز التمكن من اللغة، مع مراعاة التكرار والممارسة العملية لضمان ترسيخ المهارات اللغوية بشكل فعال. بهذه الطريقة، يصبح اكتساب اللغة عملية متكاملة تجمع بين الزمن، والتوجيه، والخطة المنظمة، لضمان تحقيق أفضل النتائج الممكنة.

4. خاتمة:

وفي ختام هذا المقال، يتضح أن الملكة اللغوية تمثل الأساس الذي تقوم عليه القدرة على الفهم والتعبير والإبداع، فهي ليست مجرد معرفة بالمفردات أو إلمام بالقواعد، بل هي قدرة راسخة في النفس تمكّن المتكلم من إنتاج كلام سليم وموافق لمقتضى الحال. وقد بيّن العلماء العرب القدامى بعمقٍ لافت أن هذه الملكة تُكتسب بالتدرّج عبر السماع المتكرر، والحفظ الواعي، والممارسة المستمرة، والقياس على كلام العرب، حتى تصبح صفة ثابتة في اللسان، قادرة على توليد التراكيب الجديدة بصورة تلقائية.

كما أظهرت الدراسات اللغوية الحديثة، على اختلاف اتجاهاتها، اهتمامًا ماثلاً بتفسير هذه القدرة الإنسانية الفريدة؛ فبينما ركزت بعض النظريات على جانب المحاكاة والعادة، أكدت نظريات أخرى الطابع الإبداعي الفطري للغة، واعتبرتها نظامًا ذهنيًا قائمًا على قواعد عامة تمكّن الإنسان من إنتاج عدد غير محدود من الجمل انطلاقًا من عناصر محدودة. وهذا التلاقي بين التراث اللغوي العربي والفكر اللساني الحديث يكشف عن وعي مبكر لدى علمائنا بطبيعة اللغة ووظيفتها، وإن اختلفت المصطلحات والمناهج.

ومن ثمّ فإن الملكة اللغوية تتكوّن من تفاعل عناصر متعددة: الاستعداد الفطري، والتجربة السمعية، والتدريب العملي، والدافعية النفسية، والسياق الاجتماعي. وهي عملية زمنية تراكمية تنمو بالممارسة وترسخ بالتكرار، ولا تتحقق إلا في بيئة لغوية حية تسمح بالتفاعل والحوار. وعليه، فإن العناية بتنمية هذه الملكة تظلّ ضرورة ملحة في ميادين التعليم والثقافة، لأنها السبيل إلى إتقان اللغة، وإحكام البيان، وتحقيق التواصل الفعال في مختلف مجالات الحياة.

انطلاقًا مما سبق بيانه من أهمية الملكة اللغوية ودورها المحوري في بناء الكفاءة التعبيرية والتواصلية، تبرز الحاجة إلى جملة من التوصيات العملية التي تسهم في تنميتها وترسيخها في الواقع التعليمي والثقافي:

- ضرورة توفير بيئة لغوية غنية تقوم على السماع الصحيح والتفاعل المستمر، في البيت والمدرسة ووسائل الإعلام، لأن الاحتكاك المتواصل باللغة السليمة أساس ترسخ الملكة.

- العناية بالقراءة المكثفة للنصوص الرفيعة، وحفظ المختار منها، لما لذلك من أثر في تكوين الذوق اللغوي السليم وتنمية القدرة على المحاكاة الواعية.
- توجيه تعليم اللغة نحو الممارسة التطبيقية، من خلال تدريب المتعلمين على التعبير الشفهي والكتابي، وعدم الاكتفاء بعرض القواعد في صورتها النظرية المجردة.
- تشجيع الأنشطة اللغوية التي تعزز الجرأة والطلاقة، مثل المناظرات والحوارات والكتابة الإبداعية، بما يرسّخ الاستعمال الحي للغة.
- الاستفادة من التكامل بين التراث اللغوي العربي والدراسات اللسانية الحديثة في تطوير مناهج تعليم اللغة وأساليبها.
- تأهيل المعلمين تأهيلاً لغوياً وتربوياً متيناً ليكونوا قدوة في سلامة الأداء وحسن البيان.
- تنمية الدافعية الذاتية لدى المتعلمين عبر ربط اللغة بالهوية والثقافة والقيم، حتى يتحول تعلمها إلى ممارسة واعية نابعة من الداخل.

5- الهوامش:

- ¹ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ج4، ط2، تحقيق: علي عبد الواحد الوافي، لجنة البيان العربي، بيروت، لبنان، ص1088.
- ² ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج1، تحقيق: محمد النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص34.
- ³ المصدر نفسه، ص42.
- ⁴ المصدر نفسه، ص317.
- ⁵ ينظر، ابن خلدون، المقدمة، ج4، ص1389.
- ⁶ القاضي أبو الحسن عبد الجبار، المعنى في أبواب التوحيد، والعدل، واعجاز القرآن، ج16، ط1، تحقيق: أمين خولي، دار الكتب، القاهرة، 1320 هـ، ص209.
- ⁷ ينظر، ابن خلدون، المقدمة، ج4، ص1413.
- ⁸ عبد السلام مسدي، التفكير اللساني في الحفارة العربية، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، 1981م، ص ص219-220.
- ⁹ ينظر، عبد الرحمان حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد 1، العدد 01، 1971، ص40.
- ^(*) ويتزعم هند النظرية ليونارد بلومفيلد في أمريكا، واندرلي مارتيني في فرنسا.
- ^(*) ويتزعم هذه النظرية اللغوي الأمريكي نوا م تشومسكي.
- ¹⁰ ينظر، عبد السلام المسدي، التفكير اللساني، ص19.
- ¹¹ ينظر، ابراهيم العاجي، الإبداع في اللغة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 2، ص162.
- ¹² ينظر، عبد الرحمان حاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى المعلمين، مجلة اللسانيات، العدد 04، ص20.

- ¹³ Chomslly Noam : structures syntaxiques, traduit par Michel Pradeau paris seuil 1969, p 17.
- ¹⁴ ينظر، ابن خلدون، المقدمة، ج4، ص1389.
- ¹⁵ ينظر، المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ج 01، مكتبة المعارف، ص246.
- ¹⁶ ينظر، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن كر، البيان والتبيين، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص154.
- ¹⁷ ينظر، ابن خلدون، المقدمة، ج3، ص 1121.
- ¹⁸ ينظر، المصدر نفسه، ج4، ص ص 1395-1396.
- ¹⁹ ينظر، ابن خلدون، المقدمة، ج4 ص3961.
- ²⁰ Allain Emille Chartier, propos sur l'éducation. PUF paris 6eme édition, 1954, p12.
- ²¹ يذكر، الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن اسحاق، الايضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، مكتبة دار العروبة، القاهرة: 1959، ص92.
- ²² ينظر، ابن فارس أبو الحسين أحمد، الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهما، تحقيق: أحمد صقر، مطبعة المؤيد، القاهرة: 1910، ص03.
- ²³ الزمخشري ابو القاسم محمود بن عبر، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، للطباعة والنشر، ص، ص، ك، ت.
- ²⁴ ينظر، الفراء أبو نصر محمد بن محمد طرخان، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان: 1968، ص87.
- ²⁵ الجاحظ ابو عثمان عمرو بن كر، كتاب الحيوان، ج5، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى باجي الحلبي وأولاده، مصر: 1943، ص ص 289-290.
- ²⁶ المبرد ابو العباس بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، هامش، ص20.
- ²⁷ ينظر، سينا أبو طي الحسين بن عبد الله، الشفاء، المنطق، تحقيق: محمد الخضير، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1974، ص37.

قائمة المراجع:

1. ابراهيم العاجي، الإبداع في اللغة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 2.
2. ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج1، تحقيق: محمد النجار، (بيروت، لبنان: دار الهدى للطباعة والنشر).
3. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ج4، ط2، تحقيق: علي عبد الواحد الوافي، (بيروت، لبنان: لجنة البيان العربي).
4. ابن فارس أبو الحسين أحمد، الصاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهما، تحقيق: أحمد صقر، (القاهرة: مطبعة المؤيد، 1910).

5. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن كثر، البيان والتبيين، ج 1، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية).
6. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن كثر، كتاب الحيوان، ج5، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، (مصر: مطبعة مصطفى باجي الحلبي وأولاده) 1943.
7. الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن اسحاق، الايضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، (القاهرة: مكتبة دار العروبة، 1959).
8. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عيسى، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، (دار المعرفة، للطباعة والنشر، ص، ص، ك، ت).
9. سينا أبو طي الحسين بن عبد الله، الشفاء، المنطق، تحقيق: محمد الخضير، (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1974).
10. عبد الرحمان حاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى المعلمين، مجلة اللسانيات العدد 04.
11. عبد الرحمان حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد 1، العدد 01، 1971.
12. عبد السلام لمسيدي، التفكير اللساني في الحفارة العربية، (تونس: الدار العربية للكتاب ليبيا، 1981م).
13. الفرائي أبو نصر محمد بن محمد طرخان، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق: محسن مهدي، (بيروت، لبنان: دار المشرق، 1968).
14. القاضي أبو الحسن عبد الجبار، المغنى في أبواب التوحيد، والعدل، واعجاز القرآن، ج 16، ط1، تحقيق: أمين خولي، (القاهرة: دار الكتب، 1320 هـ).
15. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ج 01، (مكتبة المعارف).
16. Allain Emille Chartier, propos sur l'éducation. PUF paris 6eme édition, 1954.
17. Chomslly Noam : structures syntaxiques, traduit par Michel Pradeau paris seuil 1969.